تفكيك مكوِنات شعوب المنطقة.. ممارسة قديمة تتجدد!

كتاب وآراء | 26 ديسمبر 2016 | 3,252 | 0 تعليق

كلام صباشر
فيصل عبدالعزيز الزامل

«نعيم جلعادي» يهودي عراقي، مواليد 1929 عضو الحركة الصهيونية السرية بالأربعينات، اتجه الى اسرائيل في مايو عام 1950 وشارك في حرب 1967 ثم تخلّى عن الجنسية الاسرائيلية طواعية وانتقل الى نيويورك، تحدث عن خطة ترحيل 125.000 يهودي عراقي لإسرائيل في 1941، بطلب من بن غوريون، كمزارعين بدلا من المزارعين الفلسطينيين الذين تم طردهم من قراهم بالقتل المباشر، وبوضع علب مليئة بفيروسات «التيفوس والزحار» في آبار مياه الفلسطينيين للفتك بهم، لهذا تم افتعال أحداث عنف في العراق عام 1941 بالتنسيق مع الانكليز الذين أرادوا إزاحة حكومة رشيد الكيلاني غير الموالية لهم:

1- اندلعت أعمال العنف بالبصرة ضد اليهود، حيث يسكنها 30.000 يهودي، معظمهم يعيشون من تجارة التصدير والاستيراد والصرافة وشركات التبغ والبيع بالتجزئة، وبعضهم من العاملين في المطار وسكة الحديد والموانئ، أو الموظفين الكبار في الحكومة، ففي يوم 1941/4/12 تلقى قادة اليهود تبليغا بأن الوصي على العرش، عبد الاله يرغب في لقائهم بمبنى الحكومة، ووفق عادتهم أحضروا معهم الزهور لتقديمها الى الوصي، الا أن السيارات التي نقلتهم الى دار الحكومة، انعطفت نحو مبنى القيادة البريطانية المليئة بالجنود والضباط الانكليز، وما إن نزلوا من السيارات حتى تم التقاط الصور لهم وهم يحملون الزهور بين مئات الجنود الإنكليز، وفي تلك الفترة كانت مشاعر العراقيين ملتهبة ضد ممارسات الانكليز في فلسطين، وكان العراق تحت الاحتلال الإنكليزي، وبالتالي اعتبر هذا التصرف من يهود العراق عبارة عن خيانة وطنية للعراق، وتبين في ما بعد أن الوصي على العرش لم يكن موجودا في البصرة، فلما نشرت الصحف تلك الصور انتشر الغضب في الشارع العراقي، وكانت هناك محاولة لاقتحام محال اليهود، الا ان العقلاء من وجهاء البصرة سيطروا على الوضع، وكان لديهم إحساس بأن شيئا ما يدبر للعراق من قبل الانكليز والصهيونية.

2- أدى فشل مساعي اشعال الفتنة الى قيام الإنكليز بخطوة ثانية في 1941/5/7، حينما أدخلوا وحدة من الجيش البريطاني مكونة من الجنود الهنود (جورخا) بقيادة ضباط انكليز الى أحياء اليهود، وقامت تلك الوحدة بعمليات نهب وسلب واقتحام لبيوت اليهود، وزعمت القيادة الإنكليزية أن هذه التصرفات تمت من قبل الجنود الهنود بغير تعليمات منهم. وهذا كذب؛ لأن هذه الوحدة هي من أشد وحدات الجيش البريطاني انضباطا، ما أدى الى انتقال احداث الشغب من البصرة الى بغداد مستهدفة اليهود في كل مكان، خصوصا مع تأليب الإذاعة الألمانية ــ العربية، التي كان يديرها يونس بحري من برلين، للشارع العراقي بعبارات «اليهود يقاتلون جنبا الى جنب مع القوات الإنكليزية ضد القوات العراقية الموالية لحكومة رشيد عالي الكيلاني».

3- في يوم 1941/6/1 كان اليهود يحتفلون بعيد شبيوث اليهودي، فانتشرت أيضا أخبار مدسوسة

أنهم يحتفلون بانتصار القوات البريطانية على الحكومة العراقية، حيث فر الكيلاني من بغداد، فاعترضت مجموعة من العراقيين حافلة وأنزلوا الركاب اليهود وقتلوا أحدهم وجرحوا الباقين، وفي اليوم التالي قامت مجموعة ترتدى الزي العسكري بمهاجمة بيوت اليهود ومحالهم في بغداد، ونشطت الوكالة اليهودية للمهاجرين في إذاعة أخبار مُبالغ فيها، للتأجيج.

4- كان الذي يمثّل الصهيونية في تلك الأحداث يوسف مائير، وقد فضح هذا التنسيق بين الانكليز والصهيونية المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ديفيد كمحي عام 1982، حينما كان يلقي خطابا أمام منتدى المعهد البريطاني للشؤون الدولية في لندن، وجرى استفزازه بسؤال عن غزو إسرائيل للبنان والأعمال التي صاحبت ذلك الغزو، فقال: «يجب أن تتذكروا أن القوات البريطانية عبر وحدات الجورخا الهندية التابعة لها قد شاركت عام 1941 في قتل 500 من اليهود في العراق».

كانت محصلة هذه الاعمال هو تهجير اليهود العراقيين الذين صدموا لكونهم يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية في إسرائيل ولا يحصلون على ما يحصل عليه اليهود القادمون من اوروبا وروسيا من الامتيازات في السكن والوظائف، وهذا موضوع آخر تحدث عنه الكاتب بإسهاب وخلص الى القول: «الصهيونية زرعت الشقاق ما بين اليهود والعرب، وبريطانيا هي التي أعطت الصهاينة في فلسطين ذريعة لنشر المشاعر الصهيونية بين اليهود في بغداد، ثم البصرة والعمارة والحلة والديوانية وكركوك، وكانت اسرائيل تريد الاستفادة من اليهود في الدول الإسلامية لتوريد العمالة الرخيصة، ولهذا أشعر بخيبة امل تجاه مشروع أرض الميعاد وخاب أملي شخصيا، حينما وجدت العنصرية المؤسسية التي صنعتها الصهيونية».

• **خلاصة:**

التعايش بين مكوّنات الشعوب في منطقتنا ممكن، الا إذا تسللت أياد خارجية، ونفخت في خلافات مألوفة منذ مئات السنين، فتتحول الى كراهية ومقت واقتتال، ترعاه تلك الأيادي بسرور كبير، مع غفلة أكبر من جانبنا.

فيصل عبدالعزيز الزامل